

مختصر ابن كثير

18 - ألم تر أن **ا** يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن **ا** فما له من مكرم إن **ا** يفعل ما يشاء .

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختص به كما قال تعالى : { أو لم يروا إلى ما خلق **ا** من شيء يتفيا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا **ا** وهم داخرون } وقال ههنا { ألم تر أن **ا** يسجد له من في السماوات ومن في الأرض } أي من الملائكة في أقطار السماوات والحيوانات في جميع الجهات من الإنس والجن والدواب والطير { وإن من شيء إلا يسبح بحمده } وقوله : { والشمس والقمر والنجوم } إنما ذكر هذه على التنصيص لأنها قد عبدت من دون **ا** فبين أنها تسجد لخالقها وأنها مربوبة مسخرة { لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا **ا** الذي خلقهن } الآية . وفي الصحيحين عن أبي ذر **ه** قال قال لي رسول **ا** صلى **ا** عليه وسلّم : " أتدري أين تذهب هذه الشمس ؟ " قلت : **ا** ورسوله أعلم قال : " فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت " . وفي حديث الكسوف : " إن الشمس والقمر خلقان من خلق **ا** وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن **ا** D إذا تجلى لشيء من خلقه خشع له ") أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

وقال أبو العالية : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع **ا** ساجدا حين يغيب ثم ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته وأما الجبال والشجر فسجودهما بفيء ظلالهما عن اليمين والشمائل . وعن ابن عباس قال : جاء رجل فقال : يا رسول **ا** إني رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهي تقول : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا وضع عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود قال ابن عباس : فقرأ رسول **ا** صلى **ا** عليه وسلّم سجدة ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة (رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان) . وقوله : { والدواب } أي الحيوانات كلها وقد جاء في الحديث عن الإمام أحمد أن رسول **ا** صلى **ا** عليه وسلّم نهى عن اتخاذ ظهور الدواب منابر فرب مركوبة خير وأكثر ذكرا **ا** تعالى من راكبها . وقوله : { وكثير من الناس } أي يسجد **ا** طوعا مختارا متعبدا بذلك { وكثير حق عليه العذاب } أي ممن امتنع وأبى واستكبر { ومن يهن **ا** فما له من مكرم إن **ا** يفعل ما يشاء } . وقال ابن أبي حاتم : قيل لعلي إن ههنا رجلا يتكلم في المشيئة فقال

له علي : يا عبد الله خلقك الله كما يشاء أو كما شئت ؟ قال : بل كما شاء قال : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء قال : فشفيك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء قال : فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء قال : بل حيث يشاء . قال : والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عيناك بالسيف وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد لها اعتزل الشيطان يبكي يقول : يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمر بالسجود فأبى فلي النار " (أخرجه مسلم في صحيحه)